مدخل إلى الآداب العالمية- سنة ثانية ليسانس -.....د. حميدة سليوة

المحاضرة رقم"1:

الآداب العالمية:المفهوم والمصطلح

يعتبر الأدب العالمي من المصطلحات الإشكالية، التي اختلف الدارسون والنقاد في تحديد مفهومها، لكن لا يختلف أحد حول رد فكرة **الأدب العالمي أو الكوني Littérature Universelle**، إلى الألماني يوهان غوته Goethe (1827)، الذي تنبأ بقدوم عصر الأدب العالمي، يقول:« **إن كلمة أدب قومي لا تعني شيئا كبيرا اليوم، إننا نسير نحو عصر الأدب العالمي، ويجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر**»، وفي كلامه هذا دعوة صريحة لتجاوز النطاق الضيق للآداب القومية والنظر إلى أبعد من حدود الأدب الواحد، وتحديد أدب عالمي عابر للقارات وجامع للثقافات، رغم عدم تحديده الأدب العالمي بصراحة ومباشرة، لكن يبقى غوته الأب لهذا المفهوم الذي راج مع الدراسات المقارنة فيما بعد، في بحث عن تحديد دقيق لمفهوم الأدب العالمي ومعاييره وعوامل عالميته.

1-الأدب العالمي Littérature Mondiale:

1-1-المفهوم:

1- وظل الأدب العالمي [1] إلى وقت قريب مقتصر على تصنيف معين:« **سلسلة الروائع العالمية ظلت حتى ستينيات القرن العشرين تحت تأثير المركزية الأوروبية،Euro-centralism ولكنها أخذت تتسع بالتدريج لبعض الأعمال خارج نطاق الغرب**»، ويبدو في هذه الرؤية تحيزا واضحا للآداب الغربية مع التفات بسيط للآداب غير الأوروبية مع تبعيتها وإلحاقها بالآداب الغربية. لهذا فقد كان مفهوم الأدب العالمي::« **جمع مختارات، وقيما فنية ومعرفية و إنسانية، وإلى هذا الأدب، حتى عهد قريب، كان في نظر الغرب أدب الصفوة في منتدى الأمم والشعوب، لذا كان من الطبيعي في منظوره النخبوي المتركز حول الذات أن يرى في الأدب الأوروبي المعيار الذي يسمح له بقبول آداب الأخر غير الأوروبي**»، وربط الأدب العالمي ***بالآداب الأوروبية*** ظلم لبقية الآداب الإنسانية، الشرقية منها والإسلامية والشفوية الفلكلورية، فالجمال الذوقي ليس مرتبطا بعرق ولا لغة إبداع معينة.

2- كما أن حصر"الآداب العالمية" في الروائع الكلاسيكية:« **بوصفها من ناحية *نماذج سامية* تحذى من جانب، أو يثار عليها من جانب آخر، أو تحاور ويتفاعل معها من جانب ثالث. وبوصفها من ناحية أخرى *مكونا أساسيا من مكونات الآداب الغربية* منذ عصر النهضة وحتى عصرنا**»، غير المنصف، لأن الكلاسيكيات **Classics**، والروائع الخالدة Masterpieces ، هي أعمال تنتمي للتراث الأوروبي المشترك، وفي هذا تمركز معين يلغي الآخر مهما كان عريقا، ثانيا لا يمكن أن يربط العمل الرائع بحقبة معين دون أخرى، وكل نزعة مركزية تنتفي مع الطابع الإنساني للآداب العالمية، فلكل تقليد أدبي أعماله الكلاسيكية التي يحتذي بها كل أديب، ويعتبرها نماذج سامية، أليست ***المهابارتا*** و***الشاهنامة*** و***ألف ليلة***

1-يتداخل الأدب العالمي مع اصطلاحات أخرى كالأدب الكوني وفرضه التحكم العالمي بين الرأسمالية الجديدة والاتصالية المعلوماتية، اللاتي تعاملن الكتب وعناوينها كأسهم البورصة، ويتوازى تماما مع السيطرة الثقافية لسوق الفكر الواحد.
أدب العوالم: هو مفرد يبين قدرة الأدب الواحد على ترجمة العوالم واللغات والثقافات المختلفة، أي القدرة على التعبير بتعددية.

وليلة و***كليلة ودمنة*** و***جلجامش*** كلاسيكيات وروائع في تراثها، وتحمل في طياتها كذلك تهميشا للآخر الجديد والمعاصر مهما كان عظيما، وما عاد لهذا التحديد من جدوى في ظل الانفتاح العولمي والتعدد الثقافي.

3-اجتهدت بعض من القواميس الجديدة في إحاطتها بمصطلح الأدب العالميLittérature Mondiale، ومنها "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة" الذي جاء فيه:« **الأدب العالمي هو كل أدب خاص، استطاع اختراق حدوده الجغرافية والقومية ليعانق رؤى إنسانية تتسم بالشمولية**»، ويتحدد مفهوم الأدب العالمي حسب القاموس الأدبي بالنماذج المختارة من الإبداع الإنساني، التي استطاعت مخاطبة قراء بعيدين عن لغتها وثقافتها، والسر في ذلك يعود إلى النزعة الإنسانية الشاملة المعبر بها. فهي آداب خاصة(قومية) تجاوزت حدود بلدها، وحققت النجاح خارج أطر شعبها ولغتها القومية.

ومن هنا فنحن أمام عدة مفاهيم للأدب العالمي: أولها ما اقترحه غوته عن الأدب العالمي بأن تتحد مجموع الآداب القومية في مركب واحد وتحت راية أدب واحد، وهو مفهوم أقرب إلى المثالية منه إلى الواقع لصعوبة تحققه، ثانيها: الأدب العالمي بصفته مجموع الآداب الإنسانية جميعها بقديمها وجديده وجيدها ورديئها، وهو فضفاض جدا ومستحيل التحديد فلا يمكن الإحاطة بكل الآداب لصعوبة المسالة ولاندثار بعض الآداب القديمة.

ثم نصل إلى مفهوم للأدب العالمي يجعله مرتبط بالآداب الأوروبية والغربية وهو مفهوم مركزي، يحتفي بآداب على آداب أخرى تلقى التهميش فقط لأنها غير أوروبية، كما أن ربط الأدب العالمي بالروائع والكلاسكيات –مهما كان وزنها الأدبي- يهمل الآداب الحديثة والمعاصرة، أما التعريف الأخير فهو الأقرب إلى روح العالمية حيث لا يحدد الأدب العالمي لا بعرق ولا فترة تاريخية وإنما بمعايير الخروج من نطاق القومية وتحقيق النجاح خارج الموطن الأول واللغة الأم. لهذا نقترح توسيع المجال وتدقيق المفهوم فيما يخص الآداب العالمية لتشمل آداب العالم كله، مع توفر الخصائص الفنية والأدبية والإنسانية، بغض النظر عن اللغة والثقافة والعرق والموقع الجغرافي، بعد اختراق حد اللغة الوطنية والحيز الإقليمي، وهذا ترسيخا للفكرة العولمية عن الأدب العالمي، وتعزيزا لمعرفة الآخر الذي أصبح جارا قريبا في هذه القرية الكونية.

1-2- الأدب القومي والأدب العالمي:

ويلاحظ بعد هذا تعالق الاصطلاح المقصود مع اصطلاحات أخرى منها: ***الأدب القومي***، وهو أدب أمة ما وشعب من الشعوب؛ يكتب بلغته ويعبر عن ثقافته وتراثه، فهو أدب محلي محدود بجغرافية معينة ولسان قومي ومجموعة بشرية ذات قواسم مشتركة، ويسمى كذلك "**الأدب الخاص**" :«**ويتناول نشاطا إقليميا ووطنيا خاصا لا يتعداه، يقوم على الإلمام باهتمامات، ورؤى جغرافية ومن هنا جاءت تسميات: الأدب الجزائري، الأدب المغربي...**» ، وليس الأدب الخاص بأقل قدرا وقيمة من الأدب العالمي، لارتباطه بجماعة بشرية محددة وفضاء جغرافي محلي، فكل الآداب العالمية هي آداب خاصة عند شعوبها.

1-3-الأدب العالمي والأدب المقارن:

ويجر النقاش حول الآداب العالمية(جمع أدب عالمي) إلى الرفيق الدائم لها وهو الأدب المقارن، littérature compareéحسب جون ماري كاريه: «**فرع الدولية من التاريخ الأدبي، لأنه دراسة العلائق الروحية الدولية، وهو الصلات الو اقعية التي توجد بين بيرون وبوشكين وجوته وكارلييل، أي بين المنتجات والإلهامات، بل بين حيوات الكتاب المنتمين إلى آداب عدة**»، فهو ذلك المجال من الدراسات الذي يهتم بالعلاقات بين الآداب المختلفة اللغة والقومية، من تأثير وتأثر ومبادلات أدبية، تتحدد من خلالها أصالة العمل الأدبي المرسل بقدرته في التأثير في غيره من الآداب، وجودة العمل المستقبل بخصوبته في اكتساب عناصر جديدة، وإبداعيته في التأثر والإتيان بالجديد بعد ذلك، وتحكم هذه المبادلات بالعلاقة التاريخية والتاريخ الأدبي والحدود اللغوية والثقافية، فالأدب المقارن في جزء منه يتناول نصوص من الأدب العالمي، أليس التأثير في الأدب الآخر خروجا من الحيز الثقافي واللغوي القومي؟.

وفي العلاقة بين الاثنين قيل:«**الأدب المقارن والأدب العالمي كانا باستمرار توأمين سياميين لكل مقارني الدرس المقارن في الغرب.....تناولت الجو انب المختلفة لهذه العملية الدقيقة التي تقوم على مسعى جاد لفهم"الآخر" من خلال فهم أدبه المغمس بثقافته ومواريثه**»، وكان للأدب المقارن الفضل في تطور هذا المفهوم الذي ولد من رحمه، دون أن ننسى أنه ظهر في ألمانيا أول مرة مع يوهان فولفغانغ غوته عام 1827، لكن الفكرة لم تتطور إلا مع المقارنيين الفرنسيين، حيث استقبل الأدب المقارن في فرنسا هذا المفهوم بترحاب كبير، لأنه يخدم توجهاته الداعية إلى الانفتاح والخروج من الانعزالية إلى مجال الآداب الغيرية والأجنبية، ويرى هذا في محاضرات أبال فيلمانAppel Vielleman، في طرحه حول الأدب الفرنسي وعلاقته بالآداب الأوروبية، ويرى كذلك في مساعي ممثلي الاتجاه الفرنسي بعالمية الأدب وعواملها وسبل تحقيقها عبر الوسائط العديدة.

انتقد الأدب المقارن كثيرا لتبنيه نموذج مركزيا يلغي الأدب الآخر:« **لا يفسح المجال واسعا إلا للقوي والغني من الأمم، حتى عندما تنبه إلى ضرورة الالتفات إلى الشرق الآسيوي الناهض، الذي بدأ ينافس الغرب في قوته وغناه، فانه انحاز إلى الأمم الأقوى والأغنى في هذه الأمم(اليابان، الصين، والهند)، واغفل أمما ضعيفة وفقيرة**»[1]، وهنا ننتبه إلى ازدواجية المعايير الفنية والأدبية وحتى الإنسانية، واختلالها عند المقارنين، وهذا ما يجب أن يتجنبه الدارس في عصر التعدد الثقافي"تجنب المركزية" في النظر إلى الأدب القومي، وفي تحديد الأدب الآخر-بعدم قصره على اليابان والهند والصين-، وهذا يتماشي مع توجه حديث-تسعينيات القرن الماضي- بدأ في التوسع يؤشر إيجابيا إلى تعزيز حضور الآداب الإفريقية والشرقية والعربية في متن الأدب العالمي ودراسات الأدب المقارن، ويحدد الدراسة المقارنة بأنها دراسة للأدب من منظور عالمي.

2- عالمية الأدب:

يصبح أدب ما عالميا إذا حقق العالمية، لهذا عرفها النقاد بـ:« **حالة من الانتشار والأهمية يكتسبها الأدب، والنتاج الثقافي بشكل عام، حين يخرج من حدوده الاقليمية أو الوطنية(المحلية) ويصبح معروفا ومقروءا في مناطق أخرى من العالم**»، فهي صفة يوسم بها العمل الأدبي بعد استطاعته الخروج من محليته ةنطاقه القومي وتحقيق

1-اصطيف(عبد النبي): دائرة الأدب العالمي دائرة غربية يحكمها مجلس أمن غربي، ص32.

النجاح، وهي بهذا تشترط الانتقال من الوطن إلى أوطان متعددة ومن لغة قومية ووطنية إلى لغات أخرى-بالقراءة أو الترجمة-، أي أنها انتقال الأدب وفق معايير معينة من أدب خاص وقومي إلى أدبي عالمي محققا النجاح خارج نطاق لغته وجمهوره الوطنيين، فهي ميزة أدبية جوهرية تنبع من قيمة الأدب في حد ذاته، وتنطلق من محليته لتصل به إلى العالم أجمع.

ويعرفها محمد غنيمي هلال بـ:« خروج الآداب من حدودها القومية، طلبا لكل ما هو جديد مفيد تهضمه وتتغذى به و استجابة لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض»، وهو يشير هنا إلى أن العالمية في الأدب انتشار الأدب المحلي خارج وطنه وتبادل التأثير والتأثر مع غيره من الآداب، فكل أدب يتعاون مع الآخر ويغتني به.

2- 1-معايير عالمية الأدب: ومما سبق نفهم أن العالمية هي انتشار وتدول للأدب على مستوى عالمي يتجاوز اللغات والقارات، ويحكمها معايير وشروط لابد منها للتحقق:

أ-الجودة الأدبية: وهي القيمة الفنية الجوهرية للنصوص الأدبية، وعادة ما يكون للعمل الجيد الحظ الأوفر في العالمية، وللأعمال الجيدة دور كبير في المحافظ على الذوق الفني السليم والقيم الإنسانية والأدبية الرفيعة، وقد تحقق بعد الأعمال المتوسطة أو الرديئة النجاح لكنه وقتي، الجودة الفنية تحددها المؤسسة الاكاديمية .

ب-الترجمة: لا يمكن لأي أدب أن يحقق العالمية بمجرد فراءته بلغته الأم فالترجمة معيار هام في تحقيق العالمية، ولا يمكن للأدب تحقيق الانتشار مهما كان جيدا دون المرور بقناة الترجمة، فليس هناك قارئ يعرف مدل اللغات. وقد شجع بعض المقارنين على قراءة الأدب العالمي دون وسيط ترجمي وهذا بتعلم اللغات.

ج-الانتشار: والصدى الواسع الذي يحققه الأدب في مختلف القراء، وهذا مرتبط بالسوق العالمية للأدب ونسبة المبيعات والمقروئية، لكن النجاح الواسع مرتبط بعاملين هما"الزمان-المكان"، أي النجاح في العديد من البلدان والقوميات، واستمرار هذا النجاح برغم تغير الأزمان والأذواق.

هـ-الخلود عبر الزمن: محافظة الأعمال الأدبية على قيمتها وتجاحها عند القراء دليل على عالميتها، فهذه الأخيرة مشروطة باستمرار الانتشار رغم مرور الزمن، ونقيض الخلود الشهرة المؤقتة وعادة ما تحتكم إلى أسباب غير الأدبية

د-الجوائز الأدبية: للجوائز أهمية كبيرة في الدعاية للأدب والتمهيد لعالميته، لكونها وسيلة للتمييز بين الأدب الرخيص والأدب الرفيع، أشهرها جائزة نوبل للآداب، وجائزة البوكر وكونكور، وللجائزة أهمية كبيرة في الاعتراف بالأديب الحاصلة عليها على اعتراف عالمي بجودة أعماله وتسهيل لشهرتها.

و-المحلية: حقق الكثير من الأدباء الانتشار الواسع والتلقي الايجابي دون أن يتجاوزوا حدودهم القومية من حيث الأساليب والموضوعات ومنهم نجيب محفوظ المصري الذي كانت جل أعماله تدور حول الحارة المصرية العريقة، وقد يكون هذا واحد من الأسباب التي عجلت بشهرة أعماله "المحلية".

2-2-عوامل العالمية:

2-2-1-عوامل خاصة(فنية):

1-الكتب:يعد الكتاب أهم وسيلة فنية مساعدة على انتشار الأعمال الأدبية، وقد ساهمت في شهرة ونجاح الكثير من الأدباء قديمهم وحديثهم، من ذلك ما قدمته مدام دو ستايل عن الأدباء في كتابها من ألمانيا، وما حملته كتب الرحالة عن أدباء البلاد التي زاروها.

2-الترجمة: وسيط ضروري في أي تفاعل معرفي أو أدبي، مسهلة للتعارف بين الأدباء وناقل للأدب المحلي إلى الأدب الآخر، ألم تعمل ترجمة قصص ألف ليلة وليلة على انتشارها وشهرتها في أوروبا، وكذلك رباعيات عمر الخيام، كما هي قصص كليلة ودمنة التي عرفت العرب بجنس القصة على لسان الحيوان.

3-الصحف والمجلات المتخصصة: تعمل المجلات المتخصصة في الأدب العالمي على نشر وترجمة نصوص أدبية أجنبية تسهيلا لوصولها للقارئ المحلي من ذلك مجلةl'année littéraire، ومجلة الرسالة بداية القرن العشرين وكذلك مجلة"الآداب الأجنبية" وحاليا" الآداب العالمية".

4-النقد الأدبي والأدب المقارن: يعمل النقاد والمقارنون على تعريف الآداب بعضها ببعض، عن طريق الدراسة أو المقارنة بين الآداب التي تعنى بالآداب العالمية، ضمن تتبع لحركية التأثير والتأثر وآثارها على النصوص.

5-النوادي والصالونات الأدبية: من ذلك ما قامت بعه الصالونات الأدبية في القرن الـ18 من دور في التعريف بالتيارات الفنية والأدبية الجديدة، ثم الترويج للأجناس الأدبية الجديدة خاصة القصة والرواية، وعند العرب نادي"مي زيادة" بالقاهرة .

2-2-2- عوامل عامة:

1-شعور الأدباء بضرورة التجديد: عندما يشعر أدباء الأدب القومي بحاجة أدبهم إلى التطور التغيير، يعملون على الاطلاع على الأدب الأجنبي بهدف تغيير الأشكال الأدبية المعهودة وتحديثها، ثم التجديد على مستوى الموضوعات، وهذا سبيل من سبل عالمية الأدب

2-الهجرات: من ذلك ما قدمته جماعات المهجر المشرقية للأدب العربي والعصبة الأندلسية، من تجديد على مستوى الشعر العربي بعد الاطلاع على الأدب العالمي وتياراته المستحدثة.

3-الحروب والاستعمار: من ذلك ما خلفته الحروب من تفاعل بين آداب الشعوب المتجابهة، ألم يعرف الرومان الأدب اليوناني بعد حرب غزوهم فيها؟ وكذلك الشأن بالنسبة إلى شعوب العالم الإسلامي التي عرفت الشعر العربي وفنونه وأغراضه بعد الفتح الإسلامي.

4-وسائل الطباعة والإعلام والتكنولوجيا: تعمل وسائل الطباعة على تسهيل انتشار الأدب وبالتالي التمهيد لانتقالها للعالم، وهو الشأن بوسائل الإعلام والتكنولوجيا التي ساهمت في نشر الآداب خارج حدودها القومية.